مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q2].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

الآباء البيض بتيبار
بعثة تبشيرية أم مشروع ضيعة فلاحية

د. لطفي المدوري

دكتوراه في التاريخ المعاصر

كلية الآداب والفنون والإنسانيات

جامعة منوبة – الجمهورية التونسية

مُلَخّص

مع احتلال فرنسا للإيالة التونسية سنة ١٨٨١ ، شمل التوسع الاستعماري عدة مجالات من بينها الاستحواذ على الأراضي الفلاحية وتشجيع الجمعيات التبشيرية على الانتشار في عديد المناطق الخاضعة لسلطة الحماية، تزامنا مع تزايد حجم الجالية الأوربية. وكمثال على ذلك سنتعرض لتجربة بعثة الآباء البيض كمجموعة من رجال الدين المسيحيين الكاثوليك الذين استقروا بتيبار شمال غربي البلاد وأسسوا بداية من ١٨٩٥ ضيعة فلاحية باسم القديس سان جوزيف Le Domaine de Saint-Joseph de Thibar، مازالت آثارها قائمة إلى اليوم. ولعل ما يثير الاهتمام أن نشاطهم لم ينحصر في الجانب الديني، بل أخذ أبعاد اقتصادية كتطوير عدة أنشطة فلاحية وأبعد اجتماعية كتقديم خدمات صحية وتعليمية لا فقط لفائدة الجالية المسيحية بتيبار، بل وكذلك للسكان المحليين الذين يقرون بالدور الاقتصادي والاجتماعي للآباء البيض خلال فترة تواجدهم بين ١٨٩٥ و١٩٧٥ . لذلك نروم دراسة هذه التجربة من خلال طرح الإشكالية التالية: هل ان نشاط جمعية الآباء البيض بتيبار كان فقط لأهداف دينية أم لأجل الاستثمار الفلاحي بالأراضي المسيطر عليها؟

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٣ أبريل ٢٠٢٥

تاريخ قبول النشر: ٢٨ مايو ٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

الآباء البيض؛ ضيعة سانت جوزيف؛ تيبار؛ الضيعة الفلاحية؛ الجمعيات التبشيرية

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.375228.1218

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

لطفي المدوري. "الآباء البيض بتيبار: بعثة تبشيرية أم مشروع ضيعة فلاحية".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد الثاني والسبعون؛ أكتوبر ٢٠٢٥. ص ١٣٣ – ١٤٣.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: lotfimadouri2012@hotmail.fr
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

عرفت الإيالة التونسية كغيرها من الأقطار المغاربية منذ القرن التاسع عشر الميلادي توطن عدة جاليات من بلدان أوربية كمالطة، وايطاليا، وفرنسا، وإسبانيا. إلى جانب قدوم عدة بعثات مسيحية كاثوليكية مثل جمعيات الآباء البيض Les Peres Blancs، أو ما اتفق على تسميتهم لدى التونسيين "البباصة". ويعتبر الكاردينال شارل لا فيجري[١] Charles -Allemand Lavigerie من أوائل الرواد الذي عمل على تنصير العديد من الأطفال الجزائريين منذ عام ١٨٦٧. وقد تطور حجم الجالية الأوربية وعدد الجمعيات المسيحية تزامنا مع توسع مجال الاستعمار الفرنسي ببلاد المغرب. وقد ارتأينا في دراستنا لهذه البعثات المسيحية، أن نهتم بمثال لمجموعة من الآباء البيض الذين استقروا منذ ١٨٩٥، بمنطقة تيبار Thibarوهي اليوم احدى معتمديات ولاية باجة الواقعة بالشمال الغربي للبلاد التونسية . حيث أقامت هذه البعثة عدة أنشطة فلاحية بالأراضي التي تملّكتها. واعتمدت تقنيات أكثر تطورًا لتكوين ضيعة فلاحية وبناء منشآت دينية وتعليمية وصحية، مما يبين أنّها لم تكن مجرد مؤسسة دينية مسيحية تبشيرية. وعليه فقد طرحنا الإشكالية التالية: هل أن نشاط جمعية الآباء البيض بتيبار كان فقط لأهداف دينية أم لأجل الاستثمار الفلاحي بالأراضي المسيطر عليها؟

وقد اكتفينا في هذا البحث على دراسة الفترة الممتدة بين عامي ١٨٩٥ و١٩٣٥, وهي مرحلة مفصلية في تاريخ جمعية الآباء البيض بتيبار، حيث شهدت تأسيس الضيعة الفلاحية تحت اسم Le Domaine de Saint-Joseph de Thibar وضمت حولها عدة مؤسسات للخدمات الصحية والتعليمية. ولتحليل هذه المسألة، سنتناول ثلاث نقاط رئيسية: أولًا مسار توطن الآباء البيض بتيبار. ثانيًا، مراحل تكوين الضيعة الفلاحية، وثالثًا، حدود التأثير الديني لهذه البعثة. بقي أن أشير إلى أنّني فضلت عدم ترجمة الشواهد وعرضها بلغة مصادرها للحفاض على مضمون النص الأصلي.

أولاً: جمعيــة الآبــاء البــيض واســتقراهم بتيبار

يعود تاريخ البعثات المسيحية Les Missionnaires chrétiens بتونس إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي مع قدوم القديسة اميلى دى فيالار Emily de Vialar التي أسست مجمع راهبات سانت جوزيف[٢]Saint-Joseph بمدينة تونس سنة ١٨٤٠. تدعم هذا النشاط سنة ١٨٧٧ بتعيين الكاردينال شارل لا فيجري أسقفا بكنيسة قرطاج والذي أسس معهد سانت لويس الذي تحول خلال الفترة الاستعمارية إلى معهد كارنو.[٣]

وبالتالي يمكن أن نعتبر هؤلاء الراهبات والآباء البيض مؤسسة للمبشرين المسيحيين ذوي الحق البابوي، تتكون من الكهنة الآباء والإخوة والأخوات، يعيشون ضمن مجموعة. وقد توفرت لهم خلال فترة الاحتلال الفرنسي لتونس ظروف ملائمة لتدعيم أنشطتهم. من ذلك أن الكاردينال لافيجري بعد أن عوّض القديس الإيطالي سوتر Sutter وأصبح رئيس أساقفة أبرشية قرطاج سنة ١٨٨٦، شجع على بعث عديد الكنائس والمدارس المسيحية بالمدن التونسية[٤]وذلك بالتزامن مع ارتفاع عدد المستوطنين الفرنسيين. في هذا الإطار يتنزل قدوم مجموعة من رجال الدين إلى تيبار واقتناءهم قطعة الأرض فلاحية لإقامة أبرشية Paroisse وضيعة فلاحية. فما هي الظروف التي ساعدتهم لإنجاز مشروعهم؟

مثّل الاحتلال الفرنسي لإيالة تونس منذ ١٨٨١ إطارًا سياسيًا وقانونيًا لتمدّد مجال الاستعمار الزراعي بعدة مناطق من البلاد. ولئن بدأت عمليات تملك المجال الزراعي حتى قبل عام ١٨٨١, عبرالشركات العقارية والمالية الفرنسية مثل شركة مرسيليا للقرض Marseillaise De Crédit، التي استحوذت سنة ١٨٧٨ على هنشير النفيضة ومساحته ١٠٠,٠٠٠ هكتار. فقد تدعم هذا التوجه بعد الاحتلال بتوجيه فرنسا اهتماماتها للسيطرة على المجال الفلاحي عبر اصدار عدة تشريعات،[٥] مثل قانون ١جويلية ١٨٨٥. مما سمح بافتكاك أراضي السكان المحليين بهدف إعادة

توزيعها على المعمرين الفرنسيين.[٦] وهو ما يمكن أن نتبينه من خلال ارتفاع مجال الأراضي المستولى عليها في الفترة ما بين ١٨٩٧ و١٩٠٢ من 467372 هكتار إلى 576933 هكتار.[٧] ومن بين المناطق التي جلبت اهتمام المعمرين الفرنسيين، نجد منطقة التل الأعلى بشمال غربي البلاد. هذا المجال الذي يمتد على أراضي مدن وقرى مثل الكاف ومكثر وتالة وتبرسق.[٨] ويتصف برطوبة المناخ وخصوبة التربة الملائمة لزراعة الحبوب وغراسة الكروم، مع توفر المراعي لتربية الماشية.

وعليه، فقد سجلنا تشكل عدة ضيعات فلاحية كبرى، حيث سعى الاستعمار للاستحواذ على أراضي المنطقة واستغلالها بطرق مختلفة، كان أغلبها من خلال مبادرات خاصة للمعمرين الفرنسيين. وهو ما تجسد في ظهور عدة ضيعات مثل هنشير الكدية بمنطقة سوق الخميس لموريس كايو Maurice Cailloux. وهنشير المعمّر كلاز Glez بسهول خلاد بتبرسق. كما عملت سلطة الحماية على تشجيع الأوربيين للاستقرار بهذه المناطق من خلال تركيز عدة مؤسسات إدارية وأمنية وتعليمية بمدن وقرى التل الأعلى مثل إنشاء بلدية بقرية سوق الأربعاء بموجب المرسوم المؤرخ في ٧ جوان ١٨٩٦. ولم تكن تيبار في منأى عن هذه السياسة الاستعمارية، فقد كانت محط اهتمام احدى جمعيات الآباء البيض الذين عملوا على تملّك جزء هام من أراضيها الزراعية. فها هي دوافع هذا الاختيار؟

يبدو أن موقع تيبار قد جلب اهتمام احدى بعثات الجمعيات المسيحية. فمن ناحية، تقع تيبار ضمن تقاطع لعدة طرقات تربط بين عدة مدن مثل تبرسق وسوق الأربعاء (جندوبة) وسوق الخميس(بوسالم) ومحطة سيدي إسماعيل على خط شبكة السكك الحديدية التي تربط مدينة تونس بباجة. وتعرف تيبار في وثائق الحجج العدلية باسم مشيخة الهمامة التابعة لقيادة تبرسق. وهي منطقة تمتد بها السهول الغرينية alluviales إلى جانب المرتفعات الجبلية مثل جبل القراعة.[٩] فهذا المجال كغيره من مناطق التل الأعلى ملائم لعدة زراعات ويزخر بوفرة المراعي لتربية الماشية، خاصة وأن معدل التساقطات السنوية يتراوح بين ٤٠٠ و٦٠٠ملم. وهي كلها عوامل مشجعة للاستثمار الفلاحي. والتي كانت وراء توجه جمعية الآباء البيض لامتلاك أراض بهذا المجال، عبر عقود شراء مثل عقد اقتناء هنشير الحمامات إلى جانب قطع فلاحية آخرى مجاورة.

ورغم عدم توفر وثائق أرشيفية حول عقود ملكية هذه الأراضي، إلا أنّنا عثرنا في كتاب الأب فرانسوا دورنيي François Dornier [١٠] على معطيات حول مراحل تملك الآباء البيض للهنشير. حيث استعرض لنا الكاتب تاريخ الوضع القانوني لهذه الأراضي وما شهدته من تحولات خلال القرن التاسع عشر. فهنشير الحمامات كان في الأصل ملكا لعائلة أولاد حسن الذين يقيمون بمنطقة الكريب جنوب غربي تيبار. حيث يستغلون جزء من أراضيهم كمراعي لتربية الماشية خاصة في الفترة ما بين شهري جانفي وأوت لتوفر المرعى. مقابل تسويغ بقية الأراضي لفلاحين من المنطقة مثل عائلة السلامي وعائلة همام بن حفص.[١١]

وفي سنة ١٨٨١ باع أولاد حسن أراضيهم التي تمتد على ١٤٥٠ هكتار إلى إبراهيم الرياحي قائد عرش دريد بالمنطقة. الذي بدوره تخلى في مرحلة لاحقة عن هذا الهنشير لأحد التجار اليهود يدعى نينو بن العطار Nino ben Attar وذلك مقابل تسوية ديونه المتخلدة لديه.[١٢] وبحكم استقراره بمدينة تونس فقد عمل التاجر اليهودي على استثمار هذه الأراضي بشكل غير مباشر عبر كرائها إلى عدد من العائلات المحلية مثل عائلة السلامي حتى ١٨٩٣ تاريخ بيع هنشير الحمامات[١٣] إلى شركة الزيتونة[١٤] Société des oliviers، التي يديرها السيد لفابر M. Fabre.وبذلك أصبح الآباء البيض ملاك لهذه الضيعة نظرًا لامتلاكهم أسهما بالشركة المذكورة واستقروا بها منذ سنة ١٨٩٥، بقيادة الأب فوايار[١٥] Le Père Voillard.

لم تكتف هذه البعثة بمجال أراضي هنشير الحمامات، بل استمرت في اقتناء أراضي أخرى حتى ١٩٠٣، مثل السيطرة على المراعي بسفوح جبل القراعة واقتناء أراض بمنطقة دجبة المجاورة.[١٦] وبذلك بلغت مساحة الأراضي المسيطر عليها ٢٢٧٥ هكتار. على أن الدراسات تختلف في تحديد كامل مساحة الضيعة، والتي لا يمكن أن تجاوز حسب عدة مصادر مساحة ١٩٠٠ هكتار.[١٧] فمن حيث التمشي العقاري يمكن

القول بأن الآباء البيض قد اتبعوا الطرق نفسها التي اعتمدها كبار المعمرين في حيازة مجال فلاحي شاسع وعلى حساب المستغلين القدامى لأراضي الهنشير، وأحيانًا افتكاك أراضي بعض المزارعين الذين التجأوا إلى القضاء. من ذلك أن عائلة بن كرم أمكنها أن تسترجع ١٢٤ هكتارا من أراضيها التي استولى عليها الآباء البيض بقرار قضائي.[١٨] ولعل هذا ما يفسر لاحقا حالة التوجس التي أبداها السكان المحليون تجاه بعثة الآباء البيض، لا فقط لأنّهم افتكوا منهم مجال كبير من الأراضي التي كانوا يتسوغونها، بل وكذلك لطبيعة أهداف هذه البعثة المسيحية وما قد تمثله من تهديد على الهوية الدينية للسكان المحليين. على أن كل ذلك لم يمنع الآباء البيض من مباشرة استثمار الأراضي التي سيطروا عليها. فكيف تمكنوا من تحويل هذا المجال إلى ضيعة فلاحية كبرى؟

ثانيًا: مراحل تكوين الضيعة الفلاحية بتيبار

لتجسيد مثل هكذا مشروع كان على الآباء البيض توفير الحاجيات الضرورية لتطوير طرائق الإنتاج الفلاحي وتوفير حاجيات مجموع رجال الدين الذين التحقوا تدريجيا بهذا المركز واستعدادًا لاستقبال وفود من الأطفال الأيتام الذين وقع جلبهم من الجزائر على امتداد الفترة ما بين ١٨٩٥ و١٩٢٤. واعتبارا بأن النشاط سيرتكز على العمل الفلاحي، فكان أول اهتمامات رجال الدين البحث عن تزويد الضيعة بالماء لحاجيات المركز والأنشطة الزراعية المزمع اعتمادها. وعليه جاءت المبادرة منذ ١٨٩٨ بإنشاء بحيرة أخذت اسم براج كاليسوع Barrage Galuso نسبة لاسم أحد الأخوة المسيحيين بالضيعة الذي أشرف على إنجاز هذا المشروع. ولعل مرد هذا العمل هو محاولة جمعية الآباء البيض، من ناحية تجنب انعكاسات التذبذب الفصلي والسنوي لكمية التساقطات بالمنطقة. ومن ناحية أخرى، تحقيق الاكتفاء الذاتي من حاجياتهم من المياه في ظل رفض السكان المحليين في مرحلة أولى تقاسم المياه المتأتية من جبل القراعة. وهو ما يمكن نعتبره شكل من أشكال المقاومة ورفضا لحضور المسيحيين كجزء من المشهد الاستعماري.

توجه بعد ذلك اهتمام البعثة الدينية إلى تهيئة الأراضي التي امتلكوها بهدف استغلالها في الإنتاج الزراعي. خاصةً وأن جزء منها كان مخصصًا ولفترة طويلة فقط للنشاط الرعوي. وهو ما بدأ عمل عليه منذ ١٨٩٥، وفق ما توفر من وسائل الإنتاج المعتمدة بأغلب الضيعات. مثل استعمال الثيران في حراثة الأرض. فأغلب الدراسات تبين أنّه إلى حدود بداية الحرب العالمية الأولى ظل استعمال الطاقة الحيوانية حتى بضيعات المعمرين أهم وسيلة انتاج في الحراثة ونقل المحاصيل. ولعل هذا ما يفسر لجوء المسؤولين عن الضيعة إلى امتلاك قطيع من الأبقار كما هو الحال ببقية الضيعات في شمال البلاد.

على أن الهدف بقي دائما منصب في اتجاه انشاء ضيعة عصرية لخدمة أعضاء البعثة وضمان فرص التكوين المهني للأيتام الذين سيستقرون بهذا المركز.[١٩] في المقابل فإن محدودية الموارد المالية كان عائقا كبيرا أمام الآباء البيض لتجسيد مشروعهم. لذلك التجأوا لطلب الدعم المالي من الجمعية الأم ومقرها بروما La Maison Mère à Rome[٢٠] فهذه المؤسسة كانت تمثل السلطة العليا المشرفة على نشاط بعثات الآباء البيض، وهي بدورها التي تعّين كبير رجال الدين بتيبار. لذلك تمّ توجيه مجموعة من الرسائل التي نظرت فيها الجمعية الأم.[٢١] توج كل ذلك بحصول الضيعة بين سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٣ على تجهيزات فلاحية.[٢٢] على أن هذه الضغوطات المالية قد تزايدت من جديد بداية من سنة ١٩٠٥، إثر قرار الحكومة الفرنسية التخلي عن دعم الجمعيات الدينية في إطار قانون لتجسيد مبدأ اللائكية والقائم على فكرة فصل الدين عن الدولة.[٢٣] وعليه فقد بحث الآباء البيض عن مستثمر وشريك جديد. فكان التعاقد مع مستثمرين هولنديين، الذين اشتروا ملكية ضيعة القديس جوزيف لتتغير صبغتها من أرض لبعثة دينية إلى شركة تحمل اسم جديد وهو شركة هولندا-تيبار la société Hollande-Thibar التي أصبحت تمثل المالك الحقيقي لأراضي الضيعة. على أن يظل الآباء البيض المسؤولين المباشرين على جميع الأنشطة الفلاحية والخدمات التي أنشأوها في تيبار، بما في

ذلك الدينية والتعليمية والصحية، والتي سنوضحها لاحقًا.

ولعل ذلك قد ساهم في تنويع مصادر الاستثمار وتحديث وسائل الإنتاج، وهو ما كان يطمح إليه المسؤولون بالضيعة لمواكبة التطور في العمل الفلاحي الذي ظهرت ملامحه بضيعات كبار المعمرين منذ نهاية الحرب العالمية الأولى. وهو ما تؤكده الأرقام الرسمية التي تبرز ارتفاع حجم واردات الإيالة التونسية من الآلات الفلاحية خلال الربع الأول من القرن العشرين لفائدة المعمرين الفرنسيين.[٢٤] فقد تعددت محاولات الآباء البيض لاقتناء آلات فلاحية حديثة وتجاوز طرق الإنتاج التقليدية رغم محدودية امكانياتهم المالية. حيث تذكر لنا المصادر توصل الأب ماركوي Mercui رئيس البعثة بتيبار في الفترة ما بين ١٩١٦ و١٩٢٠ لاقتناء أول جرار لفائدة ضيعة القديس جوزيف.[٢٥]

فيمكن أن نستنتج بأن نهاية الحرب العالمية الأولى كانت فترة محورية ساهمت في انخرط الآباء البيض ضمن مسار مواكبة التقدم التقني لوسائل الإنتاج من أجل مردود أفضل لأنشطتهم الفلاحية التي انطلقت من خلال المبادرة بزراعة الحبوب. فكيف استثمر الآباء البيض كل ذلك في تطوير هذه الزراعة؟

تُعَدّ زراعة الحبوب من الانشطة الفلاحية العريقة بمنطقة التل الأعلى. ويمثل القمح الصلب من أهم منتجات الحبوب بهذا المجال. ولعل مرد ذلك توفر ظروف طبيعية ملائمة، حيث تمثل الهضاب وضفاف الأودية أراضي خصبة ذات تربة طينية. كما تتمتع المنطقة بمناخ رطب، تتجاوز خلاله عدد الأيام الممطرة المائة يوم، مما يتيح كمية تساقطات السنوية تتجاوز ٤٠٠ ملم. وهو معدل الضروري من الامطار لتأمين احتياجات زراعة الحبوب.[٢٦] وبالتالي فقد مثّل هذا النشاط أولى اهتمامات أغلب ضيعات المعمرين بشمال البلاد. وهذا ما تؤكده معطيات الجدول التالي:

جدول رقم (١)
حول تطور المساحة المزروعة
وإنتاج القمح بالتل الأعلى[٢٧]

	١٩٠٥	١٩٢٠	١٩٢٥
المساحة المزروعة قمح بالألف هكتار	٣٦٩,٢	٥٣٤	٦٤٠,٢
إنتاج القمح بالألف قنطار	١١٠٧	١٤٢٣	٣٢٠٠

وقد تأكد الاهتمام نفسه لدى الآباء البيض باعتبار الحاجة لتوفير الاكتفاء الذاتي من الحبوب لكامل أعضاء البعثة. لذلك بادروا منذ استقرارهم بتيبار إلى حراثة ١٥ هكتارًا لزراعة القمح وتوفير في مرحلة أولى حاجياتهم الغذائية. ثم طوروا تدريجيًا مجال زراعة الحبوب لتمتد على مساحة ٤٦٠ هكتارًا وهو ما يمثل ٣٤ % من مجموع مساحة الضيعة، معتمدين على أصناف من البذور المحلية وكذلك المستوردة[٢٨] اقتداء بما يستخدم من بذور بضيعات المعمرين في القرى المجاورة لتيبار مثل سوق الأربعاء وما حققته من نتائج مهمة. حيث أمكن مضاعفة معدل مردود القمح مقارنة بالمعدل الذي لم يتجاوز بأراضي تيبار العشرة قنطار في الهكتار.[٢٩]

وبذلك يمكن القول بأن زراعة الحبوب كانت ضمن استراتيجية الآباء البيض على الرغم من تأخرهم على مستوى وسائل الانتاج الحديثة حتى فترة الحرب العالمية الأولى. ومع كل هذه الصعوبات فقد تمكنوا من توسيع مجال زراعة الحبوب، متجاوزين بذلك مرحلة الفلاحة التقليدية نحو نمط فلاحي موجه للسوق، وترويج فائض الانتاج، مستثمرين في ذلك قرب تيبار من مركز تخزين الحبوب بمحطة سيدي إسماعيل لخط القطار الرابط بين تونس وباجة في اتجاه الجزائر. فهل شجع ذلك على اعتماد أنشطة آخر مثل غراسة الكروم؟

تُعَدّ تونس منذ الفترة القرطاجية إحدى بلدان الضفة الجنوبية للبحر المتوسط التي امتلكت تجربة هامة لا فقط في إنتاج الحبوب، بل وكذلك في غراسة الكروم. حيث تؤكد المصادر القديمة على أهمية هذا النشاط من خلال ما ورد في مؤلفات عالم الزراعة القرطاجي ماغون[٣٠] Magon. وقد حافظ سكان البلاد على هذا

النشاط، وهو ما تؤكده المصادر الأوربية التي تحدثت عن مجال غراسة الكروم بتونس عند اعلان الحماية، حيث تجاوزت المساحة أكثر ألف هكتار.[٣١] ويبدو أنّها كانت تتوزع ضمن ضيعات صغرى وعائلية لإنتاج عنب الطاولة.

ومع انتشار الضيعات المعمرين بعدة مناطق من البلاد، بدأ الاهتمام بغراسة الكروم الموجه لإنتاج الخمور حيث يمكن أن يمثل فائض الإنتاج مصدرا لعائدات مالية، بتوجيه جزء من المحصول نحو السوق الفرنسية التي تزايدت حاجياتها لتوريد الخمور بفعل المرض الذي انتشر في جزء من حقول الكروم الفرنسية.[٣٢] ولعل هذه الظرفية قد تفسر سرعة تضاعف مجال غراسة الكروم ست مرات بضيعات المعمرين منذ ١٨٨٨ لتبلغ ١٨٠٠٠ هكتار سنة[٣٣] ١٩١٣ فهذه الظروف المشجعة قد دفعت كذلك الآباء البيض بتيبار إلى الاهتمام بغراسة الكروم واعتبارها من الأنشطة الفلاحية التي يمكن أن توفر عائدات مالية، تستثمر في تطوير وسائل الإنتاج الفلاحي وتنويع الأنشطة.[٣٤]

ولتجسيد هذا المشروع فقد جلب الآباء البيض من الجزائر أصناف من مشاتل الكروم لغراستها بالضيعة مثل Le Carignan et Alicante-Grenache وهي أصناف من أصول اسبانية تتصف بجودتها ومردودها العالي في إنتاج العنب الأحمر الموجه لصناعة النبيذ. وقد أمكن بداية من سنة ١٩٠٢ توفير إنتاج هام من العنب لتغطية حاجيات المسيحيين بتيبار، ليتضاعف انتاج الضيعة من الخمور من ٢٠٠ هكتولتر سنة ١٩٠٤ إلى ٨٩٠ هكتولتر سنة ١٩٠٦.[٣٥] ولعل هذه النتائج قد حفزت الآباء البيض على تطوير إنتاجهم من المشروبات الكحولية، حيث أمكنهم بداية من سنة ١٩٠٥ توفير أصناف جديدة من الخمور تحمل علامات تجارية خاصة بالضيعة وتحمل في الآن نفسه اسم تيبار. ويمكن أن نذكر كمثال على ذلك[٣٦] Clos de Thibar et Coteaux de Thibar وأمام رواج هذا المنتج بعد أن لقي استحسان زوار الضيعة من الاوربيين وعدد من المفتشين الفلاحيين بالمنطقة،[٣٧] عمل المسؤولون على مضافة مجال غراسة الكروم لتصل سنة ١٩١٧ إلى حدود ١١٠ هكتار. وكل هذه المؤشرات تؤكد بأن الكروم بضيعة سان جوزيف لم تكن مخصصه فقط لتوفير حاجيات أعضاء البعثة المسيحية والجالية الأوربية بتيبار، بقدر ما كانت موجه للترويج في السوق التونسية وللتصدير. حتى أن الآباء البيض دخلوا كذلك في منافسة مع أحد المعمرين بمنطقة سوق الخميس وهو السيد موريس كايو Maurice Cailloux حول تحديد سقف أسعار العنب، مما فرض تدخل السلطة لتحديد الأسعار.[٣٨] وعلى الرغم من هذه المنافسة، فقد تخصصت ضيعة للآباء البيض بعلامة تجارية جديدة في إنتاج المشروبات الكحولية مازلت معتمدة إلى اليوم. وهي كلها مؤشرات تعكس مدى النجاح في تطوير عدة أنشطة زراعية. وقد يكون ذلك حافزا للاهتمام بمجالات آخرى كتربية الماشية. فكيف عملوا على تطوير قطيع الأغنام والحصول على سلالات جديدة؟

تُعَدّ تربية الماشية من الأنشطة الأساسية لسكان التل الأعلى. فحسب الكاتب الفرنسي شارل منشيكور Monchicourt (Ch) الذي درس هذا الإقليم، يؤكد أن أغلب الفلاحين من السكان المحليين يمتلكون عدد من رؤوس الأغنام والأبقار.[٣٩] وهو ما يمكن أن يمثل رأسمالاً إضافيًا لصغار المزارعين. فضلا عن كونه جزءا من وسائل الإنتاج كالأبقار التي تستخدم في حراثة الأرض ضمن فلاحة تقليدية معاشية. ويتكون قطيع الأغنام عادة من سلالة محلية يعرف باسم البربري. بينما يغلب على قطيع الأبقار سلالة الأطلس البني، إلى جانب سلالة من الأبقار التي جلبت من إيطاليا. فما مدى اهتمام الآباء البيض بتربية الماشية بمزرعتهم؟

لاحظنا سابقًا أن هنشير الحمامات وقبل أن يصبح تحت تصرف الآباء البيض، كان تحت ملك أولاد حسن الذين جعلوا الجزء الأكبر من أراضيه مراعي لتربية الأغنام. ويبدو أن المسؤولين عن البعثة الدينية بتيبار أرادوا الحفاظ على هذا النشاط. فمنذ ١٨٩٦ قاموا باقتناء قطيع من الأغنام المحلية، لكنّهم لم يستحسنوا مواصفات هذه السلالة واعتبروها منتوج غير مؤهل للتصدير.[٤٠] لذلك عملوا على تغيير هذا القطيع وأدمجوا سلالة جديدة ذات الصوف الأسود والذيل القصير جلبت من الجزائر.[٤١] وانطلاقًا من هاتين السلالتين قاموا بعمليات التهجين بهدف تطوير السلالة

المحلية وللحصول على سلالة هجينة تحظى برضاء المسؤولين بالضيعة. ولئن استغرقت عمليات التهجين سنوات عديدة بداية من سنة ١٩١٥، فإن الهدف منها كان تثبيت الخصائص الوراثية للسلالة الجديدة التي سعوا لاكتسابها.[٤٢]

وقد أمكن بداية من سنة ١٩٢٥ الحصول على صنف جديد من قطيع الأغنام بتونس، أطلق عليه اسم خروف تيبار ذي اللون الأسود Le Mouton Noir de Thibar. وهو في حد ذاته يُعَدّ إحدى إنجازات الآباء البيض بتوفير سلالة جديدة من الأغنام مازالت تربى إلى اليوم وتحمل اسم المنطقة، وكما تمتلك عدة مواصفات تميزها على مستوى إنتاج اللحوم والصوف الأسود المطلوب في السوق المحلية[٤٣] وللتأكيد على أهمية هذه السلالة، فقد شارك الآباء البيض في مسابقة أقيمت ضمن معرض تونس للفلاحة لسنة ١٩٢٨، حيث قدموا خروفًا ونعجتين حازا على الجوائز الأولى.[٤٤]

يتضح لنا تعدد المنتجات سواء منها الزراعية أو الحيوانية التي أمكن للمسؤولين بالضيعة توفيرها. مما ساعد على تشكل أرضية جديدة فتحت آفاق لبعث عدة أنشطة آخرى غير فلاحية بتيبار. من ذلك إنشاء ورشة صيانة المعدات الفلاحية منذ ١٨٩٨ والتي بدورها مثلت إطار للتكوين المهني ولتعليم الأطفال الأيتام عدة مهن كالحدادة والتدرب على مختلف الأنشطة الفلاحية بالضيعة. وبالتالي تأهيل يد عاملة شابة اكتسبت القدرة على استعمال المعدات الحديثة في ظل صعوبة توفير يد عاملة محلية.[٤٥] فالآباء البيض لم يجعلوا من الضيعة مجرد مجال للإنتاج الزراعي فحسب، بل أيضا مركز تكوين المهني لفائدة الشبان. ولعل ما يفسر ذلك هو رغبة المسؤولين من ناحية في توفير كل ما تحتاجه الضيعة من يد عاملة مؤهلة وقادرة على استعمال المعدات التي عمل الآباء البيض على توفيرها. ومن ناحية آخرى التأثر بتجارب سابقة شهدتها تونس في مجال البحث وتطوير العمل الزراعي مثل بعث المعهد الاستعماري الفلاحي بتونس[٤٦] ECAT. فهي كلها محاولات لتطوير طرق الإنتاج ومواكبة التقدم التقني الذي ظهرت ملامحه بضيعات كبار المعمرين.

كما استفاد الآباء البيض من جودة الصوف المتحصل عليه من السلالة الجديدة للأغنام بالضيعة لتركيز نشاط حرفي إضافي. حيث وقع بعث ورشة لصناعة الزربية تحت إشراف الأخوات المسيحيات. والهدف هو تمكين البنات الأيتام وبنات المستوطنين بتيبار من اتقان صناعة الزربية. كما انفتحت هذه الورشة في مرحلة ثانية لتستقبل بنات من عائلات السكان المحليين. وهو ما نتبينه من خلال تضاعف عدد الفتيات الملتحقات بالورشة منذ سنة ١٩١٣.[٤٧] وبالتالي فإن ورشة النسيج قد وفرت إطار جديد للتعايش بين الفتيات المحليات وفتيات الجالية الأوروبية بالمنطقة.

وعليه، يمكن أن نستنتج مدى قدرة الآباء البيض على تركيز عديد الأنشطة الأساسية لتحقيق نموذج الضيعة المثالية، بدءًا بحيازة مساحة زراعية شاسعة، وصولًا إلى تطوير عدة منتجات زراعية وحيوانية حققت لا فقط الاكتفاء الذاتي لأعضاء البعثة، بل وفرت فائض إنتاج وجه للسوق الخارجية. مما يؤكد أن ضيعة القديس جوزيف ليست مجرد محطة لبعثة كاثوليكية قدمت إلى تيبار لنشر المسيحية، بقدر ماهي مشروع للاستثمار الفلاحي يتماهى مع انتشار ضيعات المعمرية بالمنطقة. فهل يمكن القول إن هدف نشر المسيحية لدى السكان المحليين بالمنطقة لم يكن من أولويات هذه البعثة الدينية؟

ثالثًا: حدود حركة التبشير بتيبار

لا ننسى أن توطن الآباء البيض بتيبار لم يتنزل فقط في ظل سيطرت الاحتلال الفرنسي على البلاد التونسية، بل وكذلك في إطار تشجيع الكاردينال شارل لافيجري على إنشاء الجمعيات المسيحية بعدة مناطق من البلاد. وهو ما تجسد في تصريح الأب فوايار le Père Voillart المسؤول الأول عن البعثة التبشيرية بتيبار سنة ١٨٩٥، عند اقتناء هنشير الحمامات، معتبرًا أن من أهداف البعثة هو إنشاء ضيعة للمسيحيين الشبان الذين سيأتون من الجزائر بهدف تكوينهم لخدمة المشروع الاستعماري.[٤٨] وقد بدأ ذلك يتجسد تدريجيا منذ ١٨٩٦ حين تمّ احتضان خمسين طفلاً يتيما جلبوا من منطقة الشلف بالجزائر[٤٩] بعد انتشار المجاعة بها منذ ١٨٩٣. وإلى جانب رعايتهم، فإن هؤلاء الأطفال

يتلقون تعاليم المسيحية واللغة الفرنسية ضمن المدرسة الأساسية التي أسسها الآباء البيض، واستقبلت منذ سنة١٩٠٣ عشرين طفلاً وطفلة.[٥٠] فالعمل على نشر المسيحية في صفوف الأطفال[٥١] وربما لاحقًا لدى السكان المحلين كان ضمن أهداف جمعية الآباء البيض بتيبار، وهو ما يمثل إحدى الأسس التي قامت عليها هذه الجمعيات التبشيرية في شمال افريقيا.[٥٢]

وما يؤكد الأهداف الدينية لهذه البعثة هو تصريح الأب بينتاز(Bientez) ، الذي ترأس مركز البعثة المسيحية في تيبار بين عامي ١٨٩٦ و١٩٠٤. حيث يعتبر أن من أهداف إنشاء الضيعة بتيبار إلى جانب توفير العمل والخدمات الاجتماعية هو لنشر المسيحية لدى السكان المحليين.[٥٣] هذا الموقف نفسه نجده يتبناه الأب ألكسيس لماتر (١٩٠٥-١٩١١) Alexis Lemaitre الذي يعتبر أنه من دوافع حضور الآباء البيض بتيبار هي رسالتهم الدينية.[٥٤] فالأهداف التبشيرية للبعث قائمة الذات ومصرّح بها من قبل المسؤولين على إدارة الضيعة منذ وصولهم للمنطقة سنة ١٨٩٥. وهم بذلك يختلفون عن المعمرين الذين حصروا أهدافهم في استثمار المجال العقاري الذي استحوذوا عليه لتطوير الإنتاج الفلاحي. فكيف كانت ردة فعل السكان المحليين تجاه المسيحيين المستقرين بالضيعة؟

لقد أبدى سكان تيبار منذ الوهلة الأولى تخوفهم من هذه البعثة المسيحية التي سيطرت على عدة أراضي ومهدت لقدوم جالية أوروبية تزايد عددها تدريجيا مثل العمّال الايطاليين الذين احتاج لهم الآباء البيض لبناء مكونات هذا المركز من مبيت وكنيسة ومدرسة ووحدة صحية. إلى جانب قدوم الأطفال الأيتام. ومن مؤشرات هذا التوجس، رفض سكان تيبار العمل بالضيعة لدى رجال الدين المسيحيين، مما اضطرهم إلى جلب يد عاملة من مناطق مجاورة مثل بلطة وبني مطير. فهناك التخوف من الأهداف التبشيرية التي تسعى إليها هذه البعثة ومكوناتها من رجال دين مسحيين،[٥٥] وهي تختلف في أساليبها وأهدافها عن تلك التي اعتمدها المعمرون الفرنسيون في ضيعتاهم الفلاحية. فكيف عمل الآباء البيض على تبديد هذا التخوف وما هي السبل التي اعتمدوها لتحقيق ذلك؟

للإجابة عن هذا السؤال علينا ان نبحث في طبيعة العلاقات التي سعى رجال الدين لإقامتها مع السكان. ويبدو أن نشاط الآباء البيض قد أخذ قبل كل شيء منحى اجتماعي أكثر منه ديني، فلم يسع للتبشير بالمسيحية، بل حرصوا على التقرب من السكان المحليين من خلال توفير فرص العمل وتقديم خدمات صحية وتعليمة. ورغم فشلهم في بداية استقرارهم في اقناع السكان المحليين للعمل بالضيعة، فقد بادروا بإنشاء وحدة صحية لاستقبال المرضى ومعالجتهم. كما تتولى الأخوات المسيحيات فحص النساء المحليات وتوزيع الأدوية عليهن. ولم يكتف الآباء البيض بما يقدم في هذه الوحدة الصحية، بل قاموا بجولات علاجية أسبوعية بالدواوير المجاورة لتيبار حيث قدموا مساعداتهم الطبية. وهو ما سمح لهم بالاقتراب من السكان والتعرف عليهم وبالتالي امكانية كسب ثقتهم.

ولعل في ارتفاع عدد المرضى المتوافدين على الوحدة الصحية بضيعة القديس جوزيف مؤشرًا على ذلك.[٥٦] وكأنّها بوادر تقبل للوصفات العلاجية المقدمة من الآباء البيض، خاصةً عندما تكون أكثر فاعلية من الأساليب التقليدية، ولا سيما في مكافحة الأمراض المعدية. وهو ما رفع منسوب الثقة لدى السكان المحليين تجاه المسيحين بالضيعة.[٥٧]

كما توطدت علاقات الجوار بين المجموعتين من خلال المبادرات التي قام بها المسؤولين بالضيعة والتي أخذت أبعاد اقتصادية واجتماعية رأى فيها السكان المحليون عامل إيجابي لتحسين أوضاعهم بالمنطقة. وعلى سبيل الذكر، فقد عثرنا في وثائق الأرشيف الوطني التونسي على طلبٍ تقدم به الآباء البيض إلى السلطات الفرنسية سنة ١٩٢٢، يلتمسون فيه الإذن بإقامة سوق أسبوعية بتيبار تقام كل يوم أحد.[٥٨] ورغم معارضة المراقب المدني بقيادة تبرسق في البداية لهذا المطلب، بحجة قرب مشيخة تيبار من مدينة تبرسق، إلا أن إصرار الآباء البيض على مطلبهم توّج بالموافقة على إقامة هذه السوق الأسبوعية، التي انطلقت رسميًا عام ١٩٢٥. وبالتالي يمكن القول إن اندماج المبشّرين في الحياة اليومية للسكان كان يهدف إلى خلق حالة من التعايش بين السكان المحليين وبقية الجالية الأوربية

بتيبار. وقد تجسد ذلك تدريجيا بقبول العمّال المحليين العمل بضيعة الآباء البيض كأجراء وليسوا كخماسة.[٥٩] فقد تخلصت أغلب الضيعات الاستعمارية من نظام الخماسة خلال فترة العشرينيات من القرن العشرين نتيجة لزيادة استعمال الآلات الفلاحية متحسن الإنتاجية، مما دفع عديد من المعمرين إلى تفضيل اعتماد نظام التأجير. وبذلك أصبح عدد من المزارعين يعملون كأجراء بضيعة الآباء البيض، دون أن يروا في ذلك اشكال، خلافًا لما كان عليه الأمر في المرحلة الأولى.

فنستنتج بذلك أهمية التحول في موقف السكان المحليين تجاه المسيحيين بتيبار، وربما لم يعد يُنظر إلى الآباء البيض على أنّهم جزء من النظام الاستعماري، بقدر ما اعتبروهم عنصر إيجابي في الحياة اليومية للسكان، من خلال عملهم على تعزيز التعايش بين المسيحيين والمجتمع المحلي. وهو ما أكده لنا السيد سالم المغراوي الذي شغل منصب معتمد مدينة تبرسق وأحوازها في الفترة ما بين ١٩٦٤ و١٩٦٧، حيث يذكر انّه لم يسجل أي خلافات أو شكوى من أحد السكان المحليين تجاه المسؤولية بالضيعة. مما يعكس حالة التعايش بين المجموعتين وتلاشي فكرة أن الآباء البيض قدموا إلى تيبار لتنصير السكان المسلمين. فهناك تغير هام في العلاقات من حالة التخوف إلى مرحلة القبول والتعايش مع الجالية المسيحية في ظل احترام كل لديانة الآخر.[٦٠]

خَاتِمَةٌ

صحيح أن إنشاء الضيعة الفلاحية بتيبار من قبل الآباء البيض قد تنزل في إطار حركة الجمعيات التبشيرية التي تدعم نشاطها بعدة مناطق من البلاد التونسية بعد اعلان نظام الحماية سنة ١٨٨١، إلا أن الدارس لمسار تواجد الآباء البيض بتيبار يلمح تخلي هؤلاء عن أهدافهم التبشيرية والتي انحصرت في حدود تنصير الأطفال الأيتام الذين وقع استقدامهم من الجزائر. فالآباء البيض عملوا منذ البداية على حيازة مجال فلاحي شاسع لتطوير عدة أنشطة فلاحية مكنتهم لا فقط من تحقيق الاكتفاء الذاتي لأعضاء البعثة، بل وكذلك توجيه فائض الانتاج للسوق الداخلية وللتصدير. فالاستثمار الفلاحي كان الشغل الأول لأعضاء البعثة المسيحية. وقد تجسد ذلك من خلال تضاعف حجم إنتاج الحبوب والحصول على أصناف جديدة من المنتجات التي اتسمت بها الضيعة مثل إنتاج الكروم وتوفير سلالة جديدة من الأغنام. معتمدين في ذلك على امتلاك وسائل إنتاج حديثة وتجاوز أساليب الفلاحة المعاشية نحو فلاحة موجهة للسوق.

كما أن مواقف التوجس لدى السكان المحليين منذ البداية تجاه هذه البعثة الدينية، والذي نعتبره شكل من أشكال المقاومة، قد دفع الآباء البيض إلى تحديد أولوياتهم والتخلي عن فكرة تنصير السكان المحليين. مقابل العمل على توفير مجالات للتعايش مع سكان تيبار. وهو ما يفسر تواصل حضور الآباء البيض بالمنطقة حتى سنة ١٩٧٥، رغم صدور قانون تأميم أراضي الأجانب بتونس سنة ١٩٦٤.

الإحالات المرجعية:

(1) Charles -Allemand Lavigerie (1825-1892) évêque de Nancy puis d'Alger de 1867 à 1877, ensuite Archevêque de Carthage jusqu'à 1892.

(2) Saint-Joseph est une fête religieuse que les italiens l'honorent, l'image de Saint-Joseph était un enfant revêtu d'une tunique blanche.

(3) Mahjoubi. (A), L'établissement du protectorat français en Tunisie. Université de Tunis 1977, p 289.

(4) «On trouvera les Pères Blancs à Kairouan, Porto-Farina, Djerba, Souk-el-Arba en 1890 et Thibar en 1895». Voir Darmon Raoul, « Cent années d'enseignements en Tunisie » in Bulletin Economiques et Sociales de la Tunisie. N 88, mai 1954, p 3.

(5) «La loi foncière du premier juillet s'emparèrent des terres les plus fertiles de la Tunisie». Voir Charles Ribon. La Tunisie Agricole. Paris 1894, p126.

(6) « loi foncière du 1 juillet 1885, qui offre un droit admirable pour l'immatriculation, ce qui facilite la conversion de la propriété foncière » Voir l'article Mémoire sur l'évolution du régime foncier en Tunisie 1936.In Archives CHEAM, De Montely, Article n 477.B 1049.C477. ISHTC, p 10.

(7) Poncet. (J). La colonisation et l'agriculture européenne en Tunisie depuis 1881.Tunis 1958, p172.

(8) Monchicourt. (Ch). La région du Haut-Tell en Tunisie, Paris 1913, p 427.

(٩) يبلغ ارتفاع قمة جبل القراعة ٩٣٠م.

(10) François Dornier. Pères Blanches-sœurs Blanches à Thibar (1895-1975). Tunis 1991, p 11.

(11) Ce Henchir « s'étend sur la plaine et les coteaux de Henchir Hammamet, le nom de Thibar dans les actes notariés, était la propriété d'Ouled Hassen qui s'installaient dans la région du Krib. »( ) -Dornier. (F). Les Pères Blancs... ibid, p 11.

(12) «pour se libérer de ses dettes, il a vendu à Nino ben Attar, la propriété de Hammamet… ». Dornier. (F). Les Peres Blancs… Ibid, p 11.

(13) «Ce dernier dégouta des agissements des nouveaux locataires comme la famille Salami…Il a vendu en 1893 la propriété à M. Fabre Directeur de la société des oliviers du Menzel* ». Dornier. (F). Les Peres Blancs … op cit, p 11

(١٤) Société des Oliviers du Menzel شركة خفية الاسم أسسها الأب فوايارVoillard ويمتلك بها الآباء البيض عديد الأسهم.

(١٥) الأب فوبار Le Père Voillard هو الأب الرئيس لمجموع الآباء البيض بتيبار خلال الفترة ما بين ١٨٩٥-١٨٩٦. ساهم في اقتناء هنشير الحمامات لتلبية حاجيات البعثة المسيحية.

(16) « Ils ont acquis au mois de juin 1898 de M. Fabre une propriété de plus de 200 hectares dénommés Sainte-Marguerite à proximité de leur principal établissement ». ISHTC, Archives CHEAM. Article n 477.B 1049.C477. - Rapports Trimestriels des contrôleurs civiles 3(e) trimestre 1898.

(١٧) حسب الكاتب شارل منشيكور Monchicourt. (ch) والأب دورنيي فإن الآباء البيض قد امتلكوا ١٢٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية و ٧٠٠ هكتار من المراعي. انظر: Monchicourt. (Ch). La Région du Haut Tell Tunisien. Paris 1913, p 325

(18) «un bon nombre des Thibaritains se présentent à la séance du tribunal qui a eu lieu à Thibar pour faire valoir leurs titres et leurs droits et à la fin, ils réussi même à l'emporter.». Daniela. (M) « La recherche des voix subalternes, le cas de Thibar vu à travers les articles des Missionnaires d'Afrique ». Paris 2010, p 142.

(19) «ou les jeunes frères missionnaires viendraient acquérir les connaissances professionnelles nécessaires pour le développement de la mission». Marguerit. (P) . Voyages d'Etudes Agricoles en Tunisie. Epinal 1938, p 14.

(20) Maison-Mère: Le siège de tout l'ordre des sociétés Missionnaires d'Afrique et de Notre Dame à Rome.

(21) «la Maison-Mère par la multitude des lettres qui reçoit du Père Girault, l'économe General à Rome…». Daniela. (M). La recherche des voix subalternes... Ibid, p 142.

(22) «un matériel de défoncement et de labour arrivant en 1902…suivi par un Monte-paille en 1903 puis une moissonneuse-batteuse». Raeis. (L), La recherche agronomique en Tunisie (1913-1932). Mémoire de Master en Histoire 2008-2009, p 26.

(23) «La république ne reconnait, ni salaire et ne subventionné aucun culte». Baubérot. (J). Histoire de la Laïcité en France. P.U.F 2010, p 58.

(24) «d'après les chiffres établis par les fournisseurs du matériel agricole à Tunis, la vente des tracteurs et des moissonneuses-batteuses s'est accélérée. Entre 1920 et 1930, 3600 tracteurs et 1000 moissonneuses-batteuses ont été vendues» - Encyclopédie Coloniale et Maritime, «Tunisie ». Tome II. Paris 1947, p 158.

(25) «acheter le premier tracteur Renault engin de guerre transformé en tracteur agricole». Dornier. (F). Pères Blancs Sœurs Blanches à Thibar 1895-1975.Tunis 1991, p200.

(26) «La moyenne annuelle pluviométrique dépasse les 460 millimètres, enregistre entre 1899et 1902, vue que le nombre des jours de pluie est de 136 jours par an»-Poncet. (J) « la colonisation et l'agriculture européenne en Tunisie». In Annales de Géographie. Paris 1963, pp 494-495.

(27) Bœuf. (F). «La Tunisie agricole». In Encyclopédie coloniale et maritime. Paris 1947, p 208.

(28) «la Touzelle d'Oran et la Richelle Blanche importé de l'Italie ». Dornier. (F). Les Pères Blancs… Ibid., p87.

(29) «dans la région de Souk-el-Arba, les rendements étaient de 20 à 22 quintaux par hectare en 1914». Poncet. (J). « La colonisation et l'agriculture européenne... » Op.cit. Paris 1958, p 233.

(٣٠) ماغون :Magon عالم قرطاجي عاش خلال القرن الاام. ألف موسوعة ضمت ٢٨ حول الفلاحة وترجمت للاتينية.

(31) «en 1881, le vignoble arabe occupait 1100 hectares.». Margarit. (P) Voyage d'Etudes Agricoles en Tunisie. Paris 1936, p 22.

(32) «après l'extension du phylloxera qui a exercé en France… le marché français manque de vin.». Margarit. (P) Ibid, p 22.

(33) Chedeville. (Ch). « La viticulture ». In Encyclopédie Coloniale et Maritime, Tunisie. Paris 1947, p 227.

(34) «la loi de 19 juillet 1890, réglant les relations douane de la France … c'est une culture a riche revenu». Voir Poncet. (J) La colonisation et l'agriculture européenne en Tunisie. Paris 1958, p 487.

(35) Les Annales coloniales, Journal quotidien, numéros mensuels illustrés 22 décembre 1923.

(36) Lemaitre. (P). « Thibar » In Petit- Echo. N1002.Année 1911.

(37) «que le vignoble de Thibar est le plus prospère de la Tunisie». Vanlande. (R) Chez les Pères Blancs. Paris 1929, p 18.

(38) «enfin la bataille s'éteint, les prix seront fixés par la commission de la viticulture et de commerce». Dornier. (F). Peres Blancs-Sœurs ... Op. Cit. Tunis 1991, p76.

(39) «possédaient un lopin d'une dizaine d'hectares et un modeste bétail». Monchicourt. (Ch). La Région du Haut Tell Tunisien. Paris 1913, p 325.

(40) «sa volumineuse queue gène sa marche sur les longs parcours, sa chair peu estimée sur le marché français». Cottier. (H) « L'élevage ». In Encyclopédie coloniale et maritime. Tunisie. Paris 1947, p258.

(41) Sous-race de moutons de type Mérinos issue du croisement du Mérinos avec des moutons locaux. Appelé aussi Mérinos d'Arles. D'après le Dictionnaire de Sciences Animal. (On line Cirad vue le 9-1-2024).

(42) «La reproduction par consanguinité étroite pour élever au plus haut degré, la puissance héréditaire». Dornier. (F), Peres Blancs-Sœurs ...Ibid, p188.

(43) «alors que laine blanche cotées en moyenne 350 Fr les 100 Kg à Tunis, la laine noires se vendu à 450 Fr». Moussu. (G), « Le Mérinos Noir ». Revue L'Agronomie coloniale. (A25/ n227) Novembre 1936, p 138.

(44) Moussu. (G). « Le Mérinos … » Op.cit, p138.

(45) «former des colons chrétiens et des travailleurs et de les établir ensuite autour de Saint-Joseph». -Dornier. F. Pères Blancs-Sœurs… ». Op.cit, p 190.

(46) «ouvert en octobre 1898…Elle possède des ateliers ou les élevés sont initiés à la pratique des travaux manuels…Ainsi que l'Etablissement de Sidi-Thabet, c'est une ferme de stagiaires». Vialas. (M) « Visite à l'Ecole Coloniale Agricole ». In Congres d'Agronomies du cinquantenaire du Protectorat française en Tunisie. Compte Rendu. Tome II (27 Avril- 8-Mai 1931). CIRAD, p 809.

(47) «de 7 filles en 1913 forment le noyau…on passe à 60 tisseuses» -Dornier. F, Peres Blancs- Sœurs… Ibid, p73.

(48) «amis de notre colonisation française et d'arabes Chrétiens». Georges (G). Un Grand missionnaire Le cardinal Lavigerie. Paris 1925, p 88.

(49) «le Père Roch arriva à Saint-Joseph de Thibar avec les orphelins de 1896». Daniela Melfa, « Remuer la terre, retourner la veste, Missionnaires d'Afrique dans la Tunisie coloniale ». In Chantiers et défis de la recherche sur le Maghreb contemporain. Paris 2010, p 221.

(50) Dornier. (F) La vie catholique en Tunisie au fils des jours. Tunis 1991, p 95.

(51) « Il ne suffisait pas de faire de ces enfants des chrétiens, il fallait en faire des chrétiens laborieux ». Dornier. (F), Peres Blanches-Sœurs… Op cit Tunis 1991, p14.

(52) «gagner les Arabes au Jésus ». -Groffier. (V), Héros trop oublié de notre épopée coloniale. Paris 1928, p 61.

(53) «Les pères leur fourniront du travail, ils soigneront leurs malades et leurs apprendront à écrire, à lire et à prier et servir Dieu ». Dornier.(F) Pères Blanches… Ibid. Tunis 1991, p15.

(54) «Thibar est avant tout une œuvre d'apostolat indigène par l'éducation chrétienne et le travail ». -Dornier.(F) Pères Blanches…Ibid, p15.

(55) «Une provocation constante à la susceptible religieuse des musulmans ». 43-Daniela. (M) « La recherche des voix des subalternes, le cas de Thibar vu a à travers les articles des Missionnaires d'Afrique ». In Chantiers et défis de la recherche sur le Maghreb contemporain. Tunis 2009, p 143.

(56) «s'élève de 1130 en 1903 à 2504 en 1920 ». Daniela. (M), « A la recherche des voix … ». In Chantiers et défis Ibid. Paris 2010, p 137.

(57) « les indigènes se montrent partout gentils, ils nous accueillent bien partout ». Diaire. Le 1 décembre 1896.Ibid In Chantiers et défis. Paris 2010, p 218.

(58) A.N. T. Série E/ c 54 / D 19-1925, Demande de création d'un marché à Saint-Joseph de Thibar.

(٥٩) الخماسة: تسمية تنحدر اشتقاقا من نسبة الخمس من المحصول. فهو عقد عمل يربط صاحب الأرض بالمزارع الذي يشتغل طيلة السنة الفلاحية مقابل الحصول على خمس الإنتاج.

(60) «si tous les agriculteurs ressemblaient aux Pères Blancs, il n'y aurait pas de Problème en Tunisie, parole de Caïd de Téboursouk, Rahmouni bel Hiba» -Dornier. (F). Les Pères Blancs...Ibid, p133.